

تجربتنا القراءة والمشاهدة بين انحسار المكتوب وانتشار المرئي*

أ. جمال العيفة

جامعة عنابة

يقول " هالمت واغتر" أحد رواد المدرسة الظاهرتية في علم الاجتماع:

"أن الحظ ساعده على مطالعة النصوص المكتوبة أثناء الصغر ذلك
أن عائلته لم تكن تمتلك جهاز تلفزيون،
وهو يأسف على واقع أن جيل أحفاده فقد الكثير من عوائد القراءة
وأصبح جد مرتبط بالإعلام السمعي البصري"***

* نال صاحب هذه الدراسة أ. جمال العيفة الجائزة الثانية للغة العربية لعام 2004، التي نظمها المجلس الأعلى في مجال علوم الإعلام والإدارة.

تعتبر المعلومات عنصرا أساسيا في أي نشاط بشري وهي ترتبط بالحالة الذهنية أو البنية المعرفية لكل فرد، والمعلومات هي كل ما يقرأ أو كل ما يسمع أو كل ما يشاهد أو كل ما نتلقاه بحواسنا.

وهناك العديد من السبل للحصول على المعلومات تعتبر القراءة أبرزها على الإطلاق باعتبارها ظاهرة حضارية لاحقة للكثير من الإنجازات البشرية في مجال الاتصال وتداول المعلومات.

وعلى الرغم من أن القراءة لم تكن أولى الإنجازات البشرية إلا أنها بقيت تحتل المكانة الأساسية في كل تطور حضاري أو بشري على الرغم من منافسة العديد من الإنجازات البشرية لها كالتلفزيون الذي يعتمد بالدرجة الأولى على الصورة وذلك في مرحلة لاحقة جدا من التاريخ الإنساني، حيث أصبح العديد من أفراد المجتمع غير قادرين على قراءة سطر واحد بفعل سيطرة ثقافة الصورة، وحتى من لهم صلة وثيقة بالقراءة مثل الأكاديميين وتلاميذ المدارس وطلاب المعاهد والجامعات أصبحوا يعانون من عدم القدرة على القراءة ومسايرة إيقاعها، مما خلف آثارا سلبية على تلقي العلوم والمعارف والمعلومات بشكل عام في العالمين المتقدم والمتخلف على حد سواء.

وفي هذا المقام سنحاول تحليل العلاقة بين فعل القراءة بأبعاده وصوره المختلفة بغض النظر عن نوع هذه القراءة، لكن مع التركيز بالطبع على قراءة الكتاب والصحيفة بالدرجة الأولى من جهة، ومن جهة أخرى فعل المشاهدة بالاعتماد أساسا على تجربة المشاهدة التلفزيونية كسلوك حديث ارتبط بتطور وسائل الاتصال السمعية البصرية وكيف أثر كل منهما على الآخر؟

* * عبد الرحمان عزي، الصحافة الالكترونية وأزمة الصحافة المكتوبة في عبد الرحمان عزي (وآخرون)، عالم الاتصال، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1992، ص 375.

وهل يميل فعل القراءة للانحسار أو الاندثار بعد أن اكتسحه فعل المشاهدة، وبالتالي يمكننا القول بانتهاء عصر الكلمة المطبوعة ؟ وهل غيرت وسائل الإعلام من عادات القراءة، وما هي طبيعة نشاط القراءة في حد ذاته؟

أم أنه يمكن إيجاد جسور تواصل بينهما تجعلنا نستفيد منهما معا باعتبارهما يندرجان تحت إطار عام هو نظرية التلقي سواء للنصوص المكتوبة أم المصورة ؟

كل هذه الأسئلة وغيرها سنجيب عنها من خلال تناولنا للمحاور التالية :

- مفهوم القراءة وعلاقتها بالتلقي (السياق العام لفعل القراءة في إطار نظرية القراءة).

- الجذور التاريخية لفعل القراءة ونظرة بعض المدارس الحديثة له.

- تجربة المشاهدة من خلال التركيز على الصورة التلفزيونية حيث أن التلفزيون كوسيط تكنولوجي حديث يشكل مؤسسة إنسانية لا يقل دورها عن دور الأسرة، فهل يعوض التلفزيون الفرد على ما خسرته جراء عدم ممارسته للأنشطة الأخرى كالقراءة والكتابة؟ وما هي العادات وأنماط النشاط الإنساني التي تأثرت بظهور التلفزيون؟

ثم نقوم بعقد مقارنة بين المطبوع والمرئي من خلال استعراض خصائص كل منهما.

وفي الأخير نعرض لواقع القراءة في العالم العربي عموما والجزائر خصوصا.

وفي تحليلنا في العنصر المتعلق بالصورة فإننا نقصد الصورة المصنعة المادية (الإشهارية أو السياسية) التي يعكسها التلفزيون ويعرفها عزي عبد الرحمان بقوله : "الصورة المصورة هي التي تبث عن طريق وسيلة التلفزيون أو تتجلى في مختلف مظاهر الحياة المادية عامة كالإشهار والعلاقات العامة والأزياء وبقية مقتنيات المجتمع الاستهلاكي"¹. ولذلك فالصورة المصنعة تختلف عن الصورة الاستدلالية حيث تقتزن هذه الأخيرة بالتدبر والتفكير وبُعد النظر وعدم الوقوف عند الماديات والأشياء فقط، حيث أن كل محاولة لتفسير الواقع الإنساني يجب أن تبدأ من نقطة جوهرية هي الإنسان وليس من نقطة خارجة عنه وهي المادة أو الأشياء والوسائل.

وحتى بالنسبة للصورة بوجه عام فقد جرت العادة أن تقوم الدراسات الإعلامية بتناولها من الناحية التقنية الكمية (الدراسات الأمبريقية) أو السيميولوجية المرتبطة بدلالة الرموز غير اللغوية (التحليل البنيوي) في حين يتم إهمال المنهج القيمي القائم على مرجعية الثقافي الذي يعطي أولوية للقيمة على حساب المادة (الشيء) وهو الأمر الذي نريد إبرازه في هذا السياق.

مفهوم القراءة:

ارتبط مصطلح القراءة أكثر بمفهوم التلقي "RECEPTION" وقد استعمل القرآن الكريم لفظ "تلقي" بدل "استقبال" ذلك أن دلالة الاستعمال القرآني

1. عبد الرحمان عزي، الإعلام والبعد الثقافي: من القيمي إلى المرئي، المجلة الجزائرية للاتصال، العدد 13،

(جانفي - جوان 1996)، ص 95-113.

لمادة التلقي مع النص "تنبه إلى ما قد يكون لهذه المادة من إحياءات وإشارات إلى عملية التفاعل النفسي والذهني مع النص"¹.

ولقد ركزت الدراسات الحديثة على لفظ "التلقي" حيث هو الشائع مثلاً عند إيزر W. User وساوس Yaus حيث يعتبر هذا اللفظ هو الجامع لألفاظ "القراءة، الاستجابة، والاستقبال"².

ولقد ورد في مختار الصحاح حول مادة (ق ر أ) " أن قرأ، قرأ الكتابة قراءة تعني جمعه وضمه، ومنه سمي القرآن لأنه يجمع السور ويضمها"³. أما سيبويه فيقول " قرأ، ولقتر بمعنى "بمنزلة علا قرنه، استعلاه"⁴ أي حسن القراءة وأجودها على الإطلاق.

وقد اقترن الإلقاء عموماً والقراءة على وجه الخصوص في التراث الإسلامي بالقرآن الكريم حيث قال رسول الله ﷺ: " أهل القرآن - القراء - هم أهل الله وخاصته" وأهل القرآن هم الذين حفظوه بالعمل عليه، وحفظه حروفه فاستظهروه حفظاً وعملاً...⁵

ويتم التمييز في الحضارة العربية الإسلامية بين القراءة والتلاوة فهذه الأخيرة هي "إعادة لفظ نص بحرفيته دون شرح ولا تعليق وبشكل متتال"⁶.

1. القرطبي، جامع أحكام القرآن، إعداد الخطيب لتسويق البرامج، المجلد الأول عمان: مكتبة الأدب العربي، 1999، ص 221.

2. محمد مبارك، استقبال النص عند العرب، بيروت: المؤسسة العربية للنشر، 1999، ص 28.

3. مختار الصحاح، إعداد الخطيب لتسويق البرامج، المجلد الأول، الأردن: مكتبة الأدب العربي، 1999، ص 22.

4. ابن منظور، لسان العرب، المجلد السادس، بيروت: دار صادر، 1956، ص 291.

5. رفيق العج، موسوعة المصطلحات العربية والإسلامية، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ص 752.

6. محمد شحور، الكتاب والقرآن، مجلة البيان الثقافية 2000- www.Culture@ Albayan.co.ae

فالقارئ هو ذلك العالم الناسك، أما إذا أراد القارئ أن يقرأ عوضاً عن تلاوته فهذا يعني أن يشرح آياته ويستظهرها حفظاً وعملاً وذلك بهدف تفهيم السامع ويتضح لنا الارتباط بين الناسك والقارئ في التراث الإسلامي حيث " يقال: قرأت، أي صرت قارئاً ناسكاً وقال بعضهم، قرأت: تفهمت وقرأ عليه السلام يقرؤه عليه واقرأه إياه، بلغه¹.

ويرى الكثير من النقاد أن عملية القراءة معقدة شائكة و " ليست القراءة عند الباحثين المعاصرين ذلك الفعل البسيط الذي تمرر به البصر على السطور وليست بالقراءة القبلية التي تكفي عادة بتلقي الخطاب تلقياً سلبياً اعتماداً منها أن معنى النص قد صيغ نهائياً وحدد ولم يبق إلا العثور عليه كما هو أو كما كان في ذهن الكاتب، إن القراءة عندهم أشبه ما تكون بقراءة الفلاسفة للوجود، إنها فعل خلاق يقرب الرمز من الرمز ويضم العلاقة إلى العلاقة ويسير في دروب ملتوية جداً من الدلالات نصادفها حيناً وننتوها حيناً فنختلفها اختلافاً².

ويقول وليام راي، W.RELLY عن القراءة أنها "تضيف قدراً من التجديد إلى المواضيع التي يفرضها النص في خطوط عامة"³.

والقراءة ليست فقط عملية تمييز للحروف ومجرد النطق بالكلمات فتلك عملية آلية لا تتضمن صفات القراءة التي تنطوي على كثير من العمليات العقلية كالربط والإدراك والموازنة والفهم والاختيار والتقويم والتفكير والتنظيم والاستنباط والابتكار في كثير من الأحيان⁴.

1. المرجع السابق.

2. حسين الواد، من مناهج الدراسات الأدبية، تونس: شيراس للنشر 1984، ص 86.

3. وليام راي، المعنى الأدبي، ترجمة يونيل يوسف عزيز، ص 1، موقع انترنت.

4. محمد قدرى لطفي، التأخر في القراءة تشخيصه وعلاجه في المدرسة الابتدائية، القاهرة، مكتبة مصر،

1957، ص 38.

كما أن القراءة عملية عقلية تشمل تفسير الرموز التي يتلقاها القارئ عن طريق عينه، وتتطلب هذه الرموز فهم المعاني كما تتطلب الربط بين الخبرة الشخصية وهذه المعاني، مما يجعل العمليات النفسية المرتبطة بالقراءة معقدة إلى درجة كبيرة، والقراءة بهذا المفهوم تشمل الإستجابات الداخلية لما هو مكتوب والعمليات العقلية تدخل شخصية الإنسان لكل جوانبها بغية تفسير المعاني والفهم والربط والاستنتاج والنقد والحكم على ما يقرأ.

وتعتمد المجتمعات في تحقيق تقدمها الاجتماعي والاقتصادي على قدرات أبنائها في تحصيل المعارف واكتساب الأفكار وقد جعلت اليونسكو من أهدافها نشر الأبجدية، وتثبيت عادة القراءة والتزويد بالكتب المناسبة لترقية الشعوب.

أهمية القراءة في حياة الإنسان :

سيطرت المشافهة في العصور الوسطى إلى جانب المخطوطات، فالإلى جانب تدريب الأنظمة التعليمية للخطباء على الفصاحة والبلاغة، وعلى فن الكلام فإن نظام التعليم الإنساني الجديد الذي ظهر إبان عصر النهضة الأوروبية تمركز في المكتبة واعتمد على تفسير النصوص المطبوعة، وكان التعليم بواسطة الكتاب طريق الخروج من البؤس والجهل لكل فقير يهتم بدراسته، وأصبحت القدرة على القراءة باباً لولوج ميادين جديدة متقدمة.

وتساعد القراءة الفرد في الإعداد العلمي الذي يؤهله النجاح في الحياة أو مواجهتها كما تساعده على التوافق الشخصي والاجتماعي وتمده بالمعلومات الضرورية لحل كثير من المشكلات الشخصية وتحدد الميول وتزيدها اتساعاً وعمقاً كما تعمل على تحرير الوجدانيات المكبوتة وإتباعها وتحقيق التسلية

والممتعة وتهذب مقاييس التذوق، وبالنسبة لجون بول سارتر فإن النص سيظل "عدما وعبثاً" ما لم تتدخل دينامية القراءة كما أن بناء معجم جيد يكون بالقراءة دون سواها على حد تعبير أحد النقاد.

وفي هذا الإطار يقول الروائي الفرنسي فيليب سولرز: "لا يمكن أن نكتب إلا إذا كنا نعرف أن نقرأ، لكن لمعرفة القراءة يجب أن نعرف كيف نعيش، القراءة هي فن الحياة الرائع"¹.

كما أن القراءة فعل امتلاك وحضور فاعل حيث يقول الشاعر والناقد الأمريكي باوند: "يجب أن نقرأ لنزيد من قوتنا، كل قارئ لا بد أن يكون رجلاً ديناميكياً مفعماً بالحياة، والكتاب إنما هو دائرة نور تقبع بين يديه"².

والقراءة لا تغير نظرة الإنسان للعالم من حوله فقط، بل تؤثر أيضاً على تركيب دماغه، فهي أشبه ما تكون بحاسة أخرى يكتسبها الإنسان في حياته.. هذا ما أكدته دراسة جديدة نشرتها المجلة الأوروبية للعلوم العصبية.

فقد لاحظ الباحثون - بعد دراسة الاختبارات العصبية لدى 41 امرأة- أن منطقة "الجسم الجاسئ" وهي التراكيب الدماغية البارزة التي تصل بين النصفين الأيمن والأيسر من الدماغ - كانت سمكية في الأشخاص الذين يستطيعون القراءة، ورقيقة في الأشخاص الذين لا يملكون القدرة على القراءة، وأشار الباحثون إلى أن لهذه القدرة التعليمية

1. بسام بركة، لماذا نقرأ؟: الصورة التي تضيع.. والكلمة التي تبقى، العربي، العدد 518، يناير 2002،

ص 24-29.

2. المرجع السابق.

تأثيراً مباشراً على تركيب الدماغ نفسه كما تساعد في ربط نصفي الدماغ معاً بشكل أكثر فاعلية¹.

ويستطيع الإنسان أن يقرأ في الدقيقة (500) كلمة، علماً بأن البعض يستطيع أن يقرأ 900 كلمة لكن هذا نادر. والـ (500) كلمة تساوي صفحتين من كتاب متوسط الحجم، أي أن الإنسان يستطيع في ساعة أن يقرأ 120 صفحة، فإذا كان الكتاب المتوسط يبلغ 400 صفحة، فهذا يعني أنك تحتاج إلى ثلاث ساعات وعشرين دقيقة لقراءته، ولنفترض أنك تحتاج إلى أربع ساعات لقراءته فلو أعطيت كل يوم ساعة للقراءة لقرأت في كل أربعة أيام كتاباً، أي في السنة يمكنك أن تقرأ نحو تسعين كتاباً².

الجذور التاريخية لفعل القراءة :

قال تعالى ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق (01) خلق الإنسان من علق (02) اقرأ وربك الأكرم (03) الذي علم بالقلم (04) علم الإنسان ما لم يعلم (05)﴾
الآيات 01-05 من سورة العلق.

فأول ما نزل من القرآن هذه الآيات الكريمة المباركات لينبثق فعل القراءة في القرآن الكريم من الخلق والإبداع ليهدف في الأخير إلى أن يحقق الإنسان: "ما لم يعلم" وبذلك فليس من الصدفة أن تكون أول كلمة يفتتح بها الوحي أمراً هو فعل القراءة.

ويرى ابن فارس تأكيداً لما سبقه: "إن فعل اقرأ اشتق من فعل قرن ويعني الجمع والمقارنة"³.

1. مجلة المجتمع، السنة 30، العدد 1356، 29 يونيو - 5 يوليو 1999.

2. المرجع السابق، السنة 29، العدد 1345، 13-19 أبريل 1999.

3. ابن فارس مقاس، إعداد الخطاب لتسويق البرامج، المجلد الأول، (عمان: مكتبة الأدب العربي، 1999).

ومن هنا جاء معنى القراءة عند العرب وهي "العملية التعليمية لأنها لا تكون إلا بالمقارنة أي مقارنة الأشياء بعضها لبعض، لذلك لا يقول العرب قراءة إلا على العلم كقولهم: " قرأت العلم على فلان" وفي هذا تمييز لمفهوم القراءة ورفع لشأنها¹.

وتقترن عملية الإقحام والشرح دائما بفعل القراءة لأنه جوهرها وماهيتها ذلك أن فعل القراءة مكابدة مستمرة تصاحب الإنسان من أول سؤال يتقوه به.

وأول من قدم تفسيراً علمياً للقراءة هو الأقرب إلى الصواب حتى اليوم هو الحسن ابن الهيثم في مصر، وقد تُرجم كتابه إلى اللاتينية بعد مائتي سنة من كتابته ونشأت بعد وفاة ابن الهيثم ب 850 سنة بحوث الأعصاب اللغوية التي تقدم لنا أن جسم الإنسان هو في وضع يمكنه من إجراء فعل القراءة والكتابة، وكان الإنسان كذلك حتى قبل نشوء علم الكتابة في سوريا والعراق (السومريون)، وربما ينطبق هذا مع الآية القرآنية عن قصة الخلق ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾².

أنماط القراءة :

تتعدد أسباب ودوافع القراءة فهناك من يقرأ استعداداً لدخول الامتحان وهناك من يقرأ للإلمام بالمعلومات والتوجيهات التي ينبغي الالتزام بها في عمله ومن يقرأ بحثاً عن حقائق معينة ومن يقرأ للترفيه وتجزئة وقت الفراغ ومن يقرأ التماساً للنوم.

1. محمد شحور...مرجع سابق.

2. ألبرتو مانغويل، تاريخ القراءة، ترجمة سامي شعون، لبنان: دار الساقي، 2001.

ويمكن تقسيم القراءة وفقا لأهدافها وطرق ممارستها إلى أربعة أنماط رئيسية وهي : القراءة الترويحية، أو الترفيهية والقراءة لأغراض البحث عن حقائق معينة، والقراءة لأجل الإستيعاب، والقراءة النقدية.

أ- القراءة الترويحية :

والمقصود بها القراءة من أجل الاسترخاء أي التي نختارها بمحض إرادتنا ولا تفرض علينا على الرغم من أننا يمكن أن نجد المتعة أيضا في أنواع القراءة الأخرى.

وأكثر المواد القرائية شيوعا في القراءة الترويحية نجد الأدب الخيالي والكتب والمجلات العامة فضلا عن كتب التراجم والكتب التاريخية والمذكرات الشخصية وأدب الرحلات.

وتتسم معظم المواد القرائية الترويحية بسهولة الأسلوب التي تكفل القراءة بوجه عام مما يمكن العقل والذاكرة من العمل دون جهد يذكر.

ويعتبر هذا النوع من القراءة مظلة عريضة ينضوي تحتها عدد من الأنماط الفرعية للقراءة كالقراءة من أجل التسلية وملء وقت الفراغ والقراءة من أجل الابتعاد عن ظروف معينة أو ما يسمى بالقراءة من أجل الهروب¹.

ب- القراءة للحصول على حقائق معينة :

يرتبط هذا النوع بمواقف تتطلب الإجابة عن سؤال معين كتصفح دليل الهاتف بحثا عن رقم معين أو عنوان شخصي معين أو الرجوع إلى أحد المعاجم للتأكد من هجاء لفظ معين أو البحث في أحد كتب الحقائق

1. حشمت قاسم، المكتبة والبحث، الطبعة الثانية، القاهرة : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، د س ن،

عن إحصائية معينة، إلى غيرها من الاستفسارات التي يمكن أن نصادفها في ممارستنا لنشاطنا اليومي ولذلك فإن هذا النوع من القراءة لا يتطلب قدرا كبيرا من الإدراك الشخصي كما لا تتطلب تسلسل أفكار المؤلف وإنما مجرد العثور على حقائق معينة¹.

ج- القراءة من أجل الاستيعاب :

القراءة لأجل الاستيعاب أو التحصيل تحتم تتبع موضوع والنقاط المعلومات في نفس الوقت ولها عدة صور و أشكال أبرزها قراءة الكتب الدراسية استعدادا للامتحان والقراءة لغرض الإلمام بمتطلبات الحياة وسبل مواجهاتها والإطلاع على الصحيفة اليومية للتعرف على الأحداث الجارية ويتيح هذا النوع من القراءة مجالا فسيحا لاستعمال العقل كما أنها تتيح لنا مجالا عريضا لاستغلال الطاقات الكامنة للعديد من الأساليب القرائية الفعالة كالنظرة المبدئية الشاملة بكل أشكالها والتساؤل والتحكم في سرعة القراءة، ومراجعة ما تم تحصيله واستيعابه، واستظهار بعض الحقائق والعبارات ويقصد بالنظرة المبدئية الشاملة إلقاء نظرة على ما نحن بصدد الإطلاع عليه قبل قراءته أو إلقاء نظرة على المواد القرائية لكي نقرر ما إذا كانت جديرة بالقراءة أم لا ؟

ونتخذ النظرة المبدئية الشاملة ثلاثة أشكال :

1- وهو عبارة عن التصفح العرضي، وينطوي على النظر إلى المادة القرائية بطريقة آلية أو تلقائية للتعرف على ما إذا كانت جديرة بمواصلة الإطلاع عليها أم لا وعادة ما نقوم بعملية التصفح هذه أثناء

1. المرجع السابق، ص 37-38.

وجودنا بالمكتبة نحاول البحث عن كتاب يجذب انتباهنا على الرفوف
وحينما نمسك بالصحيفة اليومية نستطلع العناوين الرئيسية.

2- وهو التصفح المقصود من خلال الإطلاع على عناوين الفصول
والأقسام أو الفقرات الإعلامية أو الخلاصة والهدف من هذا الإطلاع هو التأكد
مما إذا كان الكتاب أو المقالة تشتمل على شيء يدخل في مجال اهتمامنا.

3- وهو ما يسمى الإلمام بعناصر معالجة الموضوع في الكتاب أو
المقالة ونلجأ إليه في حالتي القراءة لأجل الاستيعاب والقراءة النقدية.

والهدف من هذا الإلمام هو التعرف على هيكلية الكتاب أو الموضوع
وإتاحة القدرة على التحكم في طريقة ترتيب المؤلف لمادته. ويمكن
للقراءة من أجل الاستيعاب أن تتطوي على حفظ بعض الحقائق وربما
بعض العبارات أيضا عن ظهر قلب¹.

د- القراءة النقدية :

وهي أكثر أنماط القراءة تقدما وتتطوي على عمليتين هما: الفهم
والتقدير وإذا كانت القراءة النقدية لا تستغني عن كل أساليب القراءة لأجل
الاستيعاب فإنها تتطلب أيضا القدرة على تحليل وتقييم ما يسوقه المؤلف
من حقائق وأفكار.

ومن الأسئلة التي تطرح في هذا النوع من القراءة :

1. المرجع نفسه، ص 38-41.

ما هو موقف المؤلف وما هي اتجاهاته ونواحي تحيزه؟ وما هي اتجاهاتنا بالمقارنة باتجاهاته؟ وهل أثرت القراءة في اتجاهاتنا؟¹.

القراءة فعل حضاري :

يتضح جليا أن فعل (قرأ) يتجاوز الخط والكتابة المشروطين بحيز ضيق ومحدد هو الكتاب " إلى مدارات العلامات الشاسعة في احتوائها الكون جملة ولمظاهر الحياة تفصيلا لتشمل عمليات: التدبر، التأمل، النظر، البصر، السمع، الإستبصار الباطني، رؤية، رؤيا...."².

وبالنسبة للمسيحيين فقد ظلت القراءة فعلا تختص به الكنيسة وتحرص على بقائها في فلكها فلا ترخص لها البوح بسير الخط وإذاعته بين العامة إلى أن جاء "غوتنبرغ" وأفشى سرها بالطباعة. وقد ظل الفعل القرائي محصورا في العامل الديني وحده لا يتعداه إلى مجالات أخرى ففرنسا مثلا انتظرت حتى سنة 1882 أين ظهرت اللائكية تحت شعار القراءة لكل كحتمية اجتماعية.

أما الحضارة العربية الإسلامية فقد اعتنت بالقراءة من خلال اعتنائها بالكتب و المكتبات، ففي العصر العباسي الذهبي كان المستوى الاقتصادي والعقلي والاجتماعي للإنسان يقاس بالمكتبة الخاصة مثل ما يُقاس في عصرنا بامتلاك السيارة والتلفزيون وغيرهما، حيث ظل الكتاب هو معيار التقدم والحضارة طيلة قرنين من الزمن.

1. المرجع نفسه، ص41-42.

2. حبيب موينسي، القراءة والحداثة مقارنة الكائن والممكن في القراءة العربية، دراسة من منشورات

وقد كان بعض الوزراء لا يقومون برحلة ما دون أن ترافقهم مكتباتهم الخاصة، وكانت تزن حمولة بعضها ثلاثين جملا، وهذا دليل على الشغف بعالم الكتب بطريقة لا تقبل التفتيد¹.

وقد كانت تجارة الكتب تكلف المجتمع العربي ملايين الملايين سنويا، فالمكتبة النظامية لجامعة بغداد مثلا كانت ميزانيتها السنوية مليوني ونصف المليون فرنك ذهبي لشراء الكتب والمخطوطات، لذلك كانت الكتب مصدرا من أهم مصادر الرزق لمئات الآلاف من البشر.

وكان تاجر الكتب رسولا من رسل الثقافة، كما أن مكان بيعها مركز ثقافي هام في المدينة، فهذه التجارة وُجدت أولا ولزمن طويل فقط عند العرب، ففي سوق الوراقين هكذا كان يسمى الحي الواقع عند باب البصرة حيث كان يوجد أكثر من مائة وراق في مكان يلتقي فيه علماء بغداد وعلماء العالم الإسلامي من فلاسفة وشعراء وفلكيين حول الكتب الجديدة².

القراءة فعل مختص :

"... إن على القراءة الإبداعية أن تنفخ في بنية النص وتعيد إليه توثبه وحرارته المثالية فتبعث به إلى الوجود إلى كثافة الحضور"³

ولقد مر أكثر من نصف قرن على تأسيس نظرية القراءة في ألمانيا، إلا أنها لا تزال تقدم لنا نموذجا مطرد القدرة على فهم فاعلية النظر واستجابة القارئ.

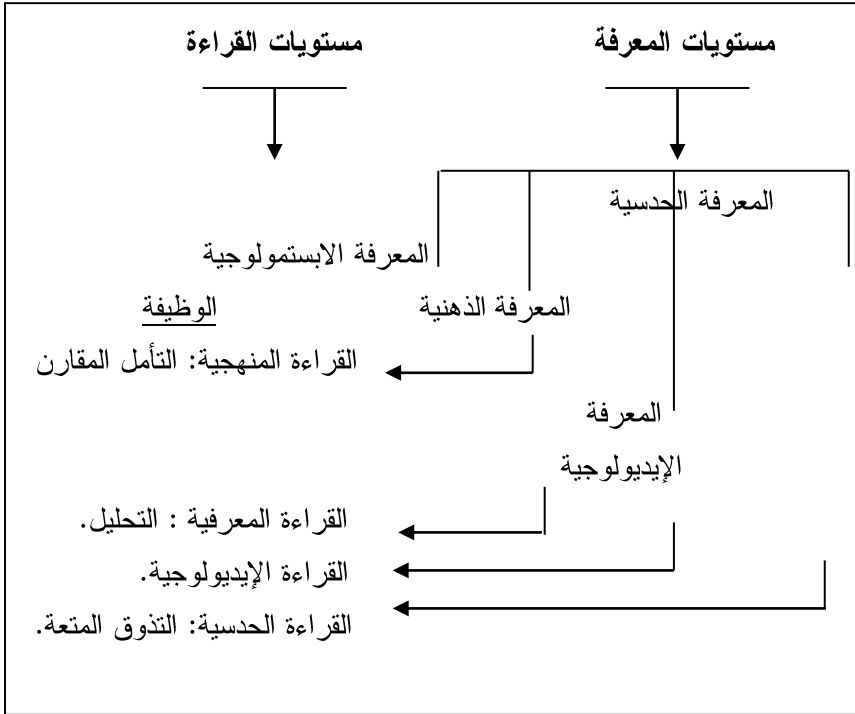
1. زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فؤاد حسنين علي، الجزائر : مكتبة رحاب، 1986، ص 290-292.

2. المرجع السابق، ص 294.

3. عبد العزيز بن عرفة، الإبداع الشعري وتجربة التخوم، تونس: دار النشر، 1988، ص 60.

وقد كان عبد القاهر الجرجاني واعيا ببعض أبعاد نظرية القراءة وسبقا حيث يقول: المعنى لا يحصل لك إلا بعد انبعاث منك في طلبه واجتهاد في بذله"¹.

القراءة والمعرفة :



شكل رقم 10 يمثل المعرفة وعلاقتها بمستويات القراءة

نشير هنا بأنه لا يجب الاعتقاد بأن هذه القراءات جزر متباعدة لا تلتقي أبداً، بل هي تتداخل فيما بينها "فالانتقال من المستوى الحسي إلى المستوى المعرفي يشكل خطاً تصاعدياً في منحني التطور الذي تشهده كل

1. حبيب مونسي... مرجع سابق.

معرفة بغض النظر عن المعرفة الإيديولوجية التي تجتهد في قصر المعنى على هدف مسطر قبلا، تتولى القراءة الإيديولوجية تدليل التأويل إليه، لأن غايتها - وإن نعتت بالمنفعة- فهي غاية مبيتة تؤطرها مخططات الفكر الإيديولوجي الصادر عنه".

فالقراءة بهذا المعنى أيضا تفاعل ديناميكي بين معطيات النص، والخطابة الذهنية للمتلقي بما فيها رغباته وردود أفعاله.

وإن كنا قد أَلَفنا الانعطاف إلى الموروث العربي في ثنايا بحثنا لإبراز فكرة ما أو تأكيدها فإننا نلمس - هنا أيضا - مكانة بارزة لفكرة مدى تفاعل النص والقارئ عند عبد القاهر الجرجاني حيث يقول " المعنى لا يحصل لك إلا بعد انبعاث منك في طلبه واجتهاد في بذله" فما وعاه عبد القاهر الجرجاني يعد سبقا في نظرية القراءة عند العرب وتقدما في طرح تصور ما يمكن أن يقوم عليه التفاعل بين النص والقارئ.

تفسير فعل القراءة:

سنحاول في هذا العنصر تحليل فعل القراءة من وجهة نظر مجموعة من المدارس الفكرية التي لها علاقة بعلم الاتصال (مدرسة فرانكفورت) وكذا مجموعة من المفكرين والأكاديميين الذين تلتقي اهتماماتهم مع ذات العلم مثل مارشال ماكلوهان ورولان بارت وأمبرتو إيكو.

فمدرسة فرانكفورت النقدية التي يعود تاريخها " إلى بداية ثلاثينات القرن العشرين ويرتبط تأسيسها بالمفكرين الألمان أمثال: ماكس هور كهايمر H. MAX وتيودور أدورنو T. Adorno وهربرت ماركوز H. Marcuse ، وفي الوقت الراهن يورغن هابرماس J. HABERMAS حيث " شكلت كل من الفلسفة الماركسية والتحليل النفسي وفلسفة التاريخ

وعلم الجمال محطات وقفت عندها المدرسة و هذا في البحث عن الشمولية والتكامل بين المناهج المختلفة.

وقد حددت هذه المدرسة مجموعة أسس جمالية يمكننا إيجازها في ما يلي:
ربط الطبيعة السياسية لكل فن لأنه يحافظ على التطلعات البشرية والحنين لأشكال طوباوية من الحياة " فالفن احتجاج ثوري ضد السيطرة حيث تذهب مدرسة فرانكفورت إلى "أن القاعدة الاجتماعية- الاقتصادية تحدد البنية الفوقية الثقافية للمجتمع، فالأعمال ليست ظواهر تابعة تعكس المصالح الطبقية" فمهمتها تتعدى ذلك الكشف عن التناقضات الاجتماعية والتطلعات الطوباوية وعندها يكون العمل الفني عظيما عندما يقدم خدمة ثورية من أجل التحرر مما هو سائد ومألوف.

وحاولنا أمام هذا الثراء المرجعي لمدرسة فرانكفورت الاهتمام بضبط نقاط التقاء بينها و بين نظرية القراءة في النقاط التالية:

أولاً: دفعت المرجعية النفسية لرواد مدرسة فرانكفورت إلى الاهتمام بالنظرية الجشطالتيية وقدرتها على الانفتاح حول القضايا الاجتماعية حيث أصبح لعلم النفس الاجتماعي منزلة خاصة لدى أصحاب النظرية النقدية " وهذا ما فتح الباب للعناية بالتأويل أو الهرمينوطيقا.

ثانياً: اهتم رواد مدرسة فرانكفورت كثيرا بعلم التأويل حيث اجتهد هابرماس في البحث عن مكانة التحليل النفسي ضمن دائرة التأويل من دلثاي إلى غادامر" وفي هذا محاولة لتأصيل علاقة القارئ بالنص¹.

1. وداد جدي، الأسس الفكرية والجمالية لنظرية القراءة : مدرسة كونستانس نموذجاً، مذكرة ليل شهادة الليسانس في الأدب العربي، المركز الجامعي تبسة، 2003.

وبعد إنهائنا لتحليل فعل القراءة نتناول في العنصر الموالي خصائص المكتوب (المطبوع) ومميزاته ثم إلى الصحيفة كأحدى أبرز الوسائط المطبوعة في عصرنا.

القراءة من المنظور الماكلوهاني:

اتجه ماكلوهان إلى معالجة النص الإعلامي ليس كنص في حد ذاته ولكنه كمادة يستحضر من خلالها تفاعل القارئ مع المادة الإعلامية. فالنص يحمل في طبيعته التفاعل بين هذا القارئ الذي نتصوره والنص الذي نتصادم معه.

يقول ماكلوهان في هذا السياق "أن المستعمل (بكسر الميم) هو المحتوى". عن القارئ، على حد قول ماكلوهان، يسقط تحيزاته على المعاني التي يستنبطها من النص، ولكن هذا النص يوفر للقارئ محيطاً من المحفزات التي تشكل وتعيد تنظيم تصوراتهِ. وفي الواقع، فإن الباحث الذي يتعامل مع النص يحد نفسه أما النص والقارئ معا في سياق التفاعل بدل الارتكان إلى حديث منعزل أو منفرد مع نص هو يبحث عن تفاعل المعاني¹.

ويذهب رولان بارت إلى أبعد من ذلك فيضع الكتاب في محور تلتقي فيه كل مفاصل الحياة البشرية. فهو يقول: "إن النص نقطة تشابك بين الذاكرة الاجتماعية الخاصة بمجتمع معين والذاكرة الفردية الخاصة بشخص ما والتجارب الإنسانية التي يشترك بها الناس أجمعين"².

في حين يرى المفكر الإيطالي أمبرتو إيكو أن الكتاب يستعمل الرموز المكتوبة، وهي رموز تتطلب من القارئ شيئا من الجهد والمشاركة، حيث يقول في هذا الإطار: "القراءة عملية تتطلب جهدا

1. عبد الرحمن عزي (وآخرون)، فضاء الإعلام، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1994، ص 31-35.

2. بسام بركة... مرجع سابق.

خاصا، فالنص المكتوب آلة كسولة تتطلب من القارئ جهدا كبيرا وتعاوننا متواصلًا لملء الفراغات ولجلب التذكرات الموجودة في النص¹.

خصائص النص المطبوع:

تتميز المواد المطبوعة بالخصائص التالية:

- تسمح لقارئها بالسيطرة على ظرف التعرض وبتكرار العرض عليها أكثر من مرة.
- يفضل استخدام المواد المطبوعة مع الجمهور المختص وصغير الحجم بغية فعالية أكبر ولأسباب مادية.
- من الأفضل تقديم الرسائل الاتصالية المعقدة عبر الوسائل المطبوعة وتوجيهها لجمهور مثقف.
- عن طريق الوسائل المطبوعة يمكن الاحتفاظ بالمعلومات وتخزينها.
- يلاحظ في الوسائل المطبوعة تأثيرا أبلغ للحجج والبراهين ومخاطبة العقل على تغيير المواقف.
- الصفحة المطبوعة سجل دائم لما أنتجه الإنسان.
- كما لقي المطبوع نجاحا أفضل في تحقيق فهم أحسن، فقد أثبتت الدراسات المقارنة التي عالجت اختلاف قدرة الوسائل على تسهيل الفهم، مثل دراسة "جاكوبي وآخرون" عام 1983 التي توصلت إلى أن الجمهور يفهم الوسائل المطبوعة أفضل من المسموعة والمرئية حتى في حالة تحديد الوقت المخصص للقراءة.

1. المرجع السابق.

الصحيفة كوسيلة مطبوعة:

مفهوم الصحيفة لغويا: "أنها الورقة من الكتاب بوجهيها، وصحيفة الوجه أي البشرة، والصحيفة جمعها صحف، والجريدة الصحيفة هي النشورية الدورية التي تحمل الأخبار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية المتنوعة"¹.

ويتجلى دور الصحيفة (الجريدة) باعتبارها أداة اتصال يومي ومباشر لجمهور القراء، بغرض نقل الخبر والرأي التحليلي لهم، حسب طبيعة وتوجه كل جريدة، ودرجة انتشارها وتوزيعها، وتحتل الصحافة المكتوبة مكانة مرموقة، إلى جانب وسائل الإعلام الأخرى، إلى جانب تاريخها القديم، فهي تعرض يوميا اتجاهاتها السياسية وآرائها في حل المشاكل الاجتماعية المختلفة.

كما تتعرض للأحداث والأخبار اليومية عن طريق اختيارها لبعض الأخبار ومعالجتها بواسطة الخبر، أو المقال، أو النقد أو التحقيق... الخ.

دور الصحيفة اليومية:

تمتلك الصحيفة القدرة على بث الأفكار والإقناع بها، لأنها تعتمد على الكلمة المطبوعة التي تمتلكها من تحقيق تكرار العرض مع التنوع في الشكل، كما تمكنها من استثارة الانفعالات لدى قرائها، من خلال تغطية كافة مجالات الحياة وتقديم الخبر والرأي والخدمة، إلى جانب

1. سامي ذبيان، الصحافة اليومية والإعلام: الموضوع، التقنية والتفنيذ، الطبعة الثانية، بيروت: دار المسيرة، 1987، ص 153.

ميزات أخرى كالتحكم في أوقات التعرض وسهولة الحمل والنقل، كما أن القارئ يجد وقتاً للتفكير في المعلومات التي قرأها لبلورة وجهة نظره فيها.

وتؤدي الصحيفة واجبها بالحياد وإعطاء الأخبار الصحيحة فتسمى بذلك صحيفة خبر، وإما أنها تعطي آراءها واتجاهاتها السياسية مع الأخبار، فتسمى عندئذ صحيفة رأي، وغالبا ما تقوم الصحيفة بإعطاء الجانبين معا.

وتظهر أهمية الصحافة المكتوبة كذلك من خلال اتساعها في العديد من الأحيان في تناول بعض القضايا والمواضيع التي تعترضها فتقوم بتناولها من زوايا مختلفة وبأنواع صحفية متعددة، فهي بذلك تقوم ببعض المهام التي قد لا تقوم بها وسيلة أخرى مثل الراديو.

وفي ذلك يقول عبد العزيز الغنام أنه: "يصعب على السامع أو الناظر أن ينظر إلى الأخبار كلها نظرة مستوعبة يستطيع بها أن يحلها أو ينظمها طبقاً لأهميتها وبالأخص أنه لا يمكن عن طريق الراديو (مثلاً) إعطاء رسوم بيانية أو توضيحية، ومن هنا يزداد اهتمام القارئ بالصحافة المكتوبة، وخصوصاً بعد سماع أو رؤية أخبار مهمة بالراديو أو بالتلفزيون"¹.

" فالصحف تهم بعض القراء في دورها التقليدي كمصدر للمعلومات والأفكار عن الشؤون العامة الجادة، وقد وجد الباحثون أن القراء لا

1. عبد العزيز الغنام، مدخل في علم الصحافة : الصحافة اليومية، الجزء الأول، بيروت: دار النجاح، 1972، ص 15.

يستخدمونها فقط للحصول على الحقائق الخام عن الأحداث الجارية وإنما من أجل التفسيرات التي يقدمها كتاب المقالات والمعلومات الخفية والأعمدة...¹

الكتاب:

إن حسن التعلم يأتي من الكتاب، فهو المعلم الأول لكل العلوم، وناقل الثقافة في جميع الوجوه، حتى البرامج المدمجة مأخوذة من الكتاب، وعليه فكل كتاب يصل إلى القارئ له دور السبق والريادة في نقل المعلومة وتسجيلها، ولن تنازعه وسيلة في سرقة لقبه "رائد المعرفة".

وسيزل للكتاب جاذبيته الخاصة حتى لو تفوق عليه الكتاب الإلكتروني، بمزايا إضافية لكونه نصاً يقرأ، وصوتاً يسمع، وفيلمًا يرى، وتفاعلاً بالحواس كافة: السمع والبصر والفؤاد واللمس، وغيرها من الحواس الداخلة في عملية التفاعل.

أهمية السمع والبصر:

يعتبر الاتصال السمعي البصري أبرز أنواع الاتصال الإنساني لاعتماده على حاستين هامتين هما: السمع والبصر المرتبطتان ببعضهما البعض بل والمتكاملتان في أداء إحدى أهم وظائف الجسم البشري.

وقد كان استعمال هاتين الحاستين مقترنا بالبدايات الأولى للاتصال الإنساني في شكلها البدائي، وعلى الرغم من التطورات التكنولوجية

1. وليام ريفرز (وآخرون)، وسائل الإعلام والمجتمع الحديث، ترجمة إبراهيم إمام، القاهرة: دار المعرفة،

العديدة والمتتالية إلا أن أهمية هاتين الحاستين ظلت ثابتة في كل المراحل المختلفة لتطور الحياة البشرية.

ونظرا لأهميتهما فقد تم خلال القرن العشرين اختراع وسائط إعلامية تعتمد بالأساس على السمع والبصر وأبرزها الراديو والتلفزيون وفي مرحلة لاحقة الإعلام الآلي والانترنت واستطاع العقل البشري الذهاب بعيدا في هذا المجال من خلال التحكم في صناعة الأجهزة السمعية البصرية.

مفهوم الصورة :

أ- لغة: الصورة إحدى ظواهر الطبيعة وهي إما حقيقة أو خيال، وقد جاء في لسان العرب لابن منظور: الصورة في الشكل والجمع صور، وقد صوره فتصور، وتصورت الشيء، توهمت صورته، فتصور لي، والتساوير التماثيل.

يقول ابن الأثير: الصورة تلد في لسان العرب على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته، يقال: صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته، وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته، وإذا شاهد الإنسان صورة ما يفعل بها ويدركها إدراكا حسيا¹، والإدراك الحسي هو: "الأثر النفسي الذي ينشأ مباشرة من انفعال حاسة أو عضو حاس... وهو يعني الفهم أو التعقل بواسطة الحواس، وذلك كإدراك ألوان الأشياء وأشكالها أو أحجامها أو أبعادها بواسطة البصر".

1. جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، المجلد الرابع، (بيروت : دار صادر، 1968)، ص473.

ب: اصطلاحاً: التصوير هو إبراز الصورة إلى الخارج بشكل فني بعد مرورها بمخيلة المصور، وكما يقول المثل الصيني فإن "الصورة أبلغ من ألف كلمة" ولكم هزت صورة إعلامية من خلال التلفزيون أو السينما أو الصحف مشاعر الناس وفجرت ثورات، ويتوقف أثر الصورة على خصائص مستقبل الرسالة الإعلامية وقدرته على استيعاب مغزاها وفهمها وفك رموزها، خاصة مع التطور الكبير والمذهل في التعامل مع الصورة إنتاجاً وتركيباً وتوزيعاً وتحكماً في الحجم يمكن من خلاله الحصول على الأحجام التالية :

- اللقطة العامة - اللقطة المتوسطة - اللقطة القريبة - اللقطة الصدرية - اللقطة الكبيرة - اللقطة الكبيرة جداً.

أهمية الصورة الحية :

تعتمد خدمة التلفزيون أساساً على الصورة الحية المرئية، التي هي أقدر في التعبير من آلاف الكلمات، خاصة ونحن نعلم أن الرؤية هي أساس الاقتناع "Seeing is Believing" فالبصر وسيلة هامة من وسائل تحصيل المشاهد في استبيان المعلومات واستيعابها، كما أن التجربة البصرية أكثر دواماً وأعمق أثراً من سائر التجارب، سواء كانت سمعية أم لمسية أم ذوقية كما أن 75% من المعرفة تكتسب عن طريق حاسة البصر و 88% عن طريق حاستي السمع والبصر.

وقد بنى أبو الحسن الرماني في رسالة "النكت في إعجاز القرآن" مفهوم البيان على أربع مراتب، ويمكن إسقاط ذلك على الصورة المصورة "المصنعة":

المرتبة الأولى: "إخراج ما لا تقع عليه الحاسة": ذلك أن خصائص البث التلفزيوني والعرض السينمائي ومشاهد الفيديو ومعطيات الحاسوب من شأنها جميعاً أن تغني المشاهد عن كل ما لا يمكن أن يقع عليه بصره في العالم الممتد من حوله لينحصر اهتمامه فيما يقع عليه بصره، لأن البصر محدود لا يبلغ كل شيء في وقت واحد.

المرتبة الثانية: "إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة": لا يخفى أن الصور صارت تتكفل بنصيب كبير من عادات المتفرجين وعلاقتهم بالمحيط القريب والبعيد، فهي تُكسبهم من الألفة والقرب والتعود ما يوثق صلتهم بالأشياء من حولهم، ويتسع مجال الألفة لديهم كلما اطلعوا على عناصر إخبارية ومعرفية جديدة.

المرتبة الثالثة: "إخراج ما لا يُعلم بالبدئية إلى ما يعلم بها": تقوم المحتويات الأساسية للصورة على ثلاثة أركان هي: الخبر والمعرفة والخبرة، وهي تساعد الناس في مواقع متباعدة من العالم على تبادل الأركان المحورية وتناقلها في ما بينهم. وهو ما يكون قد قصده مارشال ماكلوهان في حديثه عن "القرية الكونية"

المرتبة الرابعة: "إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة فيها" ذلك أن الصورة تعطي الموصوف إشراقة قد لا تكون له في أصل واقعه فتمنحه البهاء، وهو ما يقوم به الفنانون والمخرجون الذين يركزون على وهم البصر والتضخيم والإبهار مثلما يحدث في الرسائل الإشهارية مثلاً¹.

عوامل تزايد أهمية الصورة :

1. مراد بن عياد، قراءة "الصورة المصورة" من خلال المنهاج البلاغي في التراث العربي تقبلاً وتأويلاً، المجلة التونسية لعلوم الاتصال، العدد 29/28 ديسمبر 1995 جانفي - جوان 1996، ص 113-13.

توجد مجموعة من العوامل تزيد من أهمية الصورة منها:

- تجذب الصورة انتباه الفرد وتستحوذ عليه، بحيث تجعله لا يملك إلا التركيز عليها.

- تُبرز الصورة المعلومات المصاحبة لها وتدعمها.

- تقرب الصورة الأماكن البعيدة وتكبر الأشياء الصغيرة وتصغر الأشياء الكبيرة وتظهر الأشياء المختلفة.

- يميل الناس عامة، والأطفال خاصة إلى تصديق المرئيات أكثر من اللفظيات وقد قيل: "ليس من رأى كمن سمع".

- تزيد الصورة من استيعاب المعلومات وتذكرها حيث تتأثر الذاكرة بالصورة أكثر من الصوت، وقد أجريت بعض التجارب ثبت من خلالها أن الإنسان يحتفظ في ذاكرته بما يشاهد على الشاشة الصغيرة مدة أطول مما سمعه بالراديو، وذلك أن الصورة البصرية أكثر رسوخا وفرضا لنفسها من الصور الأخرى.

- وقد أكدت بعض الاختبارات السمعية والبصرية أن استيعاب الفرد للمعلومات يزداد بنسبة 35% عند استخدام الصوت والصورة في وقت واحد، وأن مدة الاحتفاظ بهذه المعلومات تطول عندئذ بنسبة ¹ 55%.

التلفزيون وخصائصه :

التلفزيون وسيلة اتصال جماهيرية سمعية بصرية، وقد أسهم جون بيرد John.L.Baird الاسكتلندي وغيره من المخترعين في صناعة أول

1. عاطف عدلي العبد، المداخل الأساسية لدراسة علم الاتصال، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، 1988،

كاميرا تلفزيونية سنة 1926، وبعدها بعامين أرسل أول رسالة (صورة تلفزيونية) من بريطانيا إلى أمريكا.

وقد كان التلفزيون في بدايته بالأبيض والأسود، لكنه أصبح ملونا في منتصف السبعينيات.

ويعتبر التلفزيون أقوى وسائل الإعلام التي ظهرت في القرن العشرين، ويتميز بمزايا عديدة يشارك فيها باقي وسائل الإعلام، وينفرد دونها بمزايا أخرى، حيث يقدم للمشاهدين المعارف والأفكار والخبرات في مشاهد متكاملة تعتمد على الصورة الحية المعبرة المقترنة بالصوت الدال على عمق المشاعر ومغزى الأحداث والوقائع¹.

و يُعد التلفزيون من أبرز الاكتشافات في القرن العشرين في ميدان الاتصال وذلك للمزايا الشكلية التي يتفوق بها على وسائل الاتصال الأخرى، حيث يجمع بين الصوت والصورة خاصة بعدما أصبحت ملونة، واستطاع أن يحقق انتشارا واسعا في كل أنحاء العالم، ومما زاد من الإقبال عليه أنه وسيلة للقطات المقربة تصلح أكثر للكشف عن الشخصية وملاحها أكثر منها لنقل الأحداث².

وبالمقابل فهو وسيلة معقدة تستخدم لغة الكلمات والصور المرئية والصوت لتوليد الانطباعات وإثارة الأفكار عند الناس³.

1. إبراهيم أبو عرقوب، الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، عمان : دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 1993، ص 93.

2. آرثر أسا برغر، أساليب التحليل الإعلامي، ترجمة علي شويل القرني (د د ن، د س ن)، ص 41.

3. المرجع نفسه، ص 43.

وقد أجريت دراسة¹ أثناء الأيام الأولى لظهور التلفزيون من قبل كورت لانغ "Kurt Lang" وغلاديس أنج لانغ "Gladys Engel Lang" تتناول مقارنة تفصيلية بين تصوير الحدث في التلفزيون وحقيقة الحادث كما جرى فعلاً استنتج من خلالها الباحثان أن التلفزيون يعكس وجهة نظر فريدة من نوعها فهو يختار المناظر وزوايا الكاميرا بعناية وبحيث يضاعف من إثارة المشاهدين وهذا ما أكدته أبحاث أخرى* حيث توصلت إلى أن العالم الحقيقي والعالم الذي تقدمه وسائل الإعلام قد يكونا مختلفين إلى حد كبير.

وقد كتب جيمس ب. تويتشل "James B. Twitchell" في كتابه ثقافة الكرنفال "Carnaval culture" عن التلفزيون "إن ثقافة التلفزيون هي ثقافتى... لقد شاهدته طول حياتي... وفطمت عن (أبوي) على ذلك الأوج (الذي بلغه حضوره في حياتنا) فعند نقطة غامضة في عقد الخمسينيات كف التلفزيون عن أن يكون شيئاً إضافياً لا أهمية له ودخل في مجرى الدم، لقد أصبح نحن وأصبحنا نحن ما هو...²."

فهذه نظرة تؤكد الحضور القوي للتلفزيون في المجتمعات الغربية. اسمايه بشكا، كس، فتة. : في هذه المجتمعات بالأخبار

1. Kurt Lang and Gladys Engel Lang, **the unique perspective of television and it's effects** : a pilot study, American sociological review XVII, PP. 3-12.

* Walter lippmann, **public opinion** (new York : Mc Millan, 1922).

- George Gerbner, "violence in television drama : trends and symbolic functions" In G. A Comstock And E. A Rubinstein 'Eds', television and social behavior. vol. 1, media content and control (Washington D. C:us government printing office 1971).

2. راسل جاكوبي، نهاية البوتوبيا: السياسة والثقافة في زمن اللامبالاة، ترجمة فاروق عبد القادر، سلسلة عالم المعرفة (269)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت: مطابع الوطن، 2001، ص 93.

والمعلومات، حيث يستولي على 30 و 40% من وقت الأشخاص الشاغر أو الحر، كما أن التلفزيون موجود لدى حوالي 80 و 95% من الأسر في العالم الغربي¹.

ولذلك فإن قطاعا معتبرا من المثقفين الغربيين يعتبر أن التلفزيون يقدم منفعة تلهي عن القلق في حياة الوحدة والعزلة، وعن سأم الحياة الزوجية وتخفف من النزاعات العائلية، وتغطي الشعور بالعجز أمام تطور العالم، من خلال دفع الأفراد إلى تقمص أبطال وعبر منحنا وجبة يومية من إيماءات وحركات الكبار في هذا العالم، فتوحي بشكل وهمي بالقوة... كما أنه يمس فئات السكان التي تجاهلتها وسائل الإعلام لحد الآن. ويشكل أداة للديمقراطية، واستطاع أن يكون خميرة العلاقة الاجتماعية بين الأشخاص، كما أنه في نظرهم أبعد من أن يشجع على العزلة بل هو أداة للحوار².

كما أن للتلفزيون مزايا خاصة من خلال تركيزه الاستثنائي على المتع الحسية في كم واحد من التجربة، الصور المتحركة والأصوات الجذابة والمثيرة مقترنة بالطابع المتكرر لهذه المثيرات على الشاشة والمعززة بالمغريات الإدراكية للأصوات والصور الإنسانية المألوفة، ربما وفر تجربة فريدة في الإمتاع تمنح إشباعا لا يُقاوم.

وقد أصبحت نشرة الأخبار التلفزيونية محط أنظار العديد من فئات المجتمع إما كفرع إخباري من أجل متابعة آخر الأحداث المهمة، أو كنوع من التسلية والترويح بالنسبة لآخرين، وقد تعاملت محطات التلفزيون

1. ناتالي كوست سيردان، التلفزيون والمجتمع الدور المقلوب، ترجمة نصر الدين لعباضي في نصر الدين لعباضي، وسائل الاتصال الجماهيري والمجتمع... مرجع سابق، ص 25-34.

2. المرجع نفسه، ص 34.

التجاري مع نشرات الأخبار كمادة تعتمد على التسلية بالدرجة الأولى، فقدمتها في شكل روائي ممتع "Fictionalisation of The News" ومما يزيد من هذا الانطباع لدى المشاهد أن مذييعي الأخبار في التلفزيون أصبحوا بمثابة نجوم وفنانين ويعاملون على هذا الأساس من قبل الجمهور ومن المشرفين على المحطات الذين لا يترددون أن يدفعوا لهم أكثر من مليون دولار سنوياً¹.

ولا يقتصر الأمر في التلفزيون على الأخبار بل إن الدراما التلفزيونية أضحت لها مصداقية عالية لدى الكثيرين، ويمكن أن تصبح مصدراً هاماً لمعلوماتهم ورافداً أساسياً لثقافتهم العامة، فكثير من المشاهدين مثلاً لم يدخلوا طوال حياتهم قاعة محكمة أو غرفة عمليات في مستشفى أو قسماً للشرطة وتكون معلوماتهم محدودة جداً إن لم تكن منعدمة حول هذه المواضيع المختلفة التي لها علاقة بحياتهم اليومية فمسلسلات مثل الطبيب كوينسي "Quency" أو مسلسل المفتش كوجاك "Kojak" أو كولومبو "Colombo" ستكون مصدر معلوماتهم الأساسية وسيعتبرون أن أغلب الأفكار والنماذج والتصرفات التي تقدم لهم في هذا الإطار تعكس بأمانة الواقع المعيش.

يضاف إلى كل ذلك عنصر الإبهار الذي تتميز به الأعمال التلفزيونية، حيث تبدو الصورة التي يعرضها التلفزيون أجمل من الواقع الحقيقي خاصة في ظل التطورات المتسارعة التي شهدتها الصورة حيث يعتمد البث التلفزيوني الآن على الرقمي الذي يعرض الصورة بشكل جذاب.

1. توفيق عبد يعقوب، التلفزيون وإشكالية الثقافة الجماهيرية والصناعات الثقافية، المجلة التونسية لعلوم الاتصال ... مرجع سابق، ص 57 - 62.

ولذلك فإن الجانب الإيجابي لوسائل الإعلام السمعية البصرية والذي يتميز بطابعه المبهر الجذاب المثير في الوقت نفسه دفع العديد من المفكرين والأكاديميين والمتخصصين إلى الدفاع عن هذه الوسائل كأدوات أو كمضامين واعتبارها ضرورة من ضرورات العصر يجب التعامل معها بواقعية والكف عن كيل الانتقادات والتهم لها جزافا.

وتشير الأدلة العلمية إلى أن التلفزيون مثلا يسرع في عملية النمو العقلي للطفل ذلك بسبب تعرضه في وقت مبكر إلى صور ومشاهد تنتمي إلى عالم البالغين¹.

ويتخذ مارشال ماكلوهان ضمن المدافعين عن هذه الوسائل بحد ذاتها معتبرا أنها ساهمت في تقريب البشر من بعضهم البعض، ومقابل ذلك هناك من دافع بقوة عن مضامين هذه الوسائل معتبرا أن لا فرق بينها وبين الثقافة الراقية بل ولا يرى مانعا في خلط الترفيه والتسلية بالأخبار والمعلومات.

خصائص التلفزيون:

إذا كان للرسالة ولخصائصها الذاتية أهمية كبرى في التأثير على المتلقي، فإنه قد يكون لوسيلة الرسالة دور حاسم في ذلك وقد يصل الأمر إلى حد جعل لكل وسيلة رسالتها.

في التأثير على الإنسان أو الجمهور
وفقا لخصائص الرسالة والهدف المتوخى منها، ولطبيعة الجمهور حيث تنفرد الوسائل السمعية البصرية عموما والتلفزيون على وجه الخصوص عن المواد المطبوعة بمجموعة من الميزات أبرزها:

1. STEIN, Aletha and Fredrick, lynette, **impact of television on children and youth**, university of Pennsylvania press; Philadelphia. 1982, p p 183-274.

- التلفزيون وسيلة اتصال إلكترونية جماهيرية تزودنا بالصوت والصورة والحركة واللون.
- تتميز التلفزة بحيازتها على أوسع جمهور ويلبها في ذلك الراديو.
- المشاهدة التلفزيونية عادة جماعية وتكلفتها رخيصة.
- يمكن مخاطبة المشاهد بلغته عن طريق ترجمة البرامج إلى أكثر من لغة.
- جمهور التلفزيون متنوع الثقافات والتعليم والأديان والأجناس واللغات¹.
- تعتبر وسائل الإعلام السمعية البصرية مجالا مفضلا للشعور والعاطفة.
- تنفرد التلفزة بعملية التأثير السريع، ولكنه يتلاشى بسهولة أكبر مع مرور الوقت.
- كما ينفرد التلفزيون بالجمع بين الصوت والصورة، خاصة مع ميل الإنسان لتصديق ما رآه أكثر مما سمعه.
- يمكن مشاهدة التلفزيون والاستماع إليه أثناء القيام بأعمال أخرى، كما يعطينا حرية اختيار أكثر من قناة.
- الراديو والتلفزيون بإمكانهما تخطي حاجزي الزمان والمكان واجتياز حاجز الأمية خاصة في بلدان العالم الثالث التي يقل فيها عدد المتعلمين.
- مجال التغطية التلفزيونية محلي وإقليمي وعالمي عبر الأقمار الصناعية.
- يقول أحد الباحثين: "النقطة الأساسية فيما يتعلق بالتلفزيون هي أن قدرا كبيرا من الطاقة يصدر عن الجهاز تجاهك، بينما أنت جالس هناك في حالة سلبية، وهذه الطاقة تدخل إليك وحين تغلق الجهاز يتعين على

1. إبراهيم أبو عرقوب، مرجع سابق، ص 93-94.

تلك الطاقة أن تخرج ثانية والذي ألاحظه في أطفالها أنها تخرج بطريقة غبية جدا-غير واعية- طاقة....نوبة غضب قصيرة ينفجرون في أثنائها بين دفع ودَسْر بسبب عدم الرضا"¹.

- " إن التجربة التلفزيونية من دون أن تختلف عن المخدرات أو الكحول تتيح للمشارك محو العالم الحقيقي والدخول في حالة عقلية سارة وسلبية"².

وهكذا تكتسب عملية المشاهدة التلفزيونية بالنسبة للكثير من المشاهدين أهمية تتجاوز المضامين الفعلية للبرامج التي يشاهدونها"³.

الصورة التلفزيونية: يجمع التلفزيون بين الصوت والصورة، ويكون مشهدا يعتبر خلاصة إمكانيات الراديو والسينما، حيث يضيف التلفزيون إلى سحر الصوت إغراء الصورة المتحركة، حيث تساعد الصورة عموما حركات يدي المذيع وتعبيرات وجهه في توصيل الرسالة الإعلامية وتكملتها، وتعتبر أولى العناصر الرئيسية المكونة للبرامج التلفزيونية وتؤدي الصورة وظيفتين بالنسبة للتلفزيون هما:

- **وظيفة طبيعية:** تحدث تلقائيا بمجرد العرض التلفزيوني، بمعنى أن برامج التلفزيون تعرض عن طريق الصور ودونها لا يمكن أن يكون هناك عرض تلفزيوني.

- **وظيفة فنية:** تصنع وتوظف لخدمة المضمون، حيث أن وجود الصور في التلفزيون يوصل بعض البرامج بفاعلية أكثر من برامج

1. ماري وين، الأطفال والإدمان التلفزيوني، ترجمة عبد الفتاح صبحي، سلسلة عالم المعرفة (247)،

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (الكويت: مطابع الوطن، 1999)، ص 33.

2. المرجع نفسه، ص38.

3. المرجع نفسه، ص42.

الراديو - كمباريات الملائكة - وينقل حقيقة الشيء إلى المشاهد، كما أن الصورة هي العنصر الجوهرى في التلفزيون.

والذي يمكن من تحويل بعض الأفكار والمعلومات إلى صيغ صورية تساهم في نقل مضمون البرامج بالأسلوب التلفزيوني حتى بدا من الطبيعي أن يتكون لدى الناس ما يمكن أن يطلق عليه العقلية البصرية أو " الإنسان الموجه بصريا أو مرئيا " وقد كتب عالم الاتصال الكندي الشهير مارشال ماكلوهان عن التلفزيون قائلا: " إن نجاح أي مؤد على شاشة التلفزيون، يعتمد على طريقة أدائه، والتلفزيون يتطلب الهدوء والسخرية الهادئة والحوار، لا الخطب والاقتراحات والبيانات والالتزامات لا الأوامر، أي أن الهدوء وعدم الاهتمام وهي كلمة السر ولكنه هدوء وعدم اكتراث مدروس...¹."

بين المكتوب والمرئي، أو الاتصال الساخن في مواجهة البارد**:

في إطار المقارنة بين الكلمة المنطوقة و الكلمة المكتوبة من حيث فاعليتهما في الإقناع تشير النتائج بوجه عام إلى أن الكلمة المنطوقة تنطوي على تأثير إقناعي أكثر من الكلمة المكتوبة (Cantril & Allport 1937; Eliott 1937) و من ناحية أخرى لم تجد دراسات أخرى فروقا بين الأسلوبين (Tannelbaum And Kerrick 1954).

و قد وُجد بوجه عام أن الفهم يكون أكبر أثناء القراءة عنه أثناء الاستماع (Beighley, 1958; Hor. Mood 1951).

1. عاطف عدلي العبد... مرجع سابق، ص 136-138.

** الاتصال الساخن حسب ماكلوهان تكون فيه العلاقة مباشرة متفاعلة بين المرسل والمستقبل. (عالم المكتوب).

أما الاتصال البارد فتكون فيه العلاقة ساكنة غير مباشرة. (التلفزيون) وسيلة باردة.

و في دراسة أخرى (Heak 1967،whittaker) تبين أن القوائم بالاتصال يكون أكثر قابلية للتصديق في حالة الرسائل الشفوية منها في حالة الرسائل المكتوبة.

ويبين العلم الحديث أن الإنسان يوزع زمنه الاتصالي على النحو التالي:

1- الاستماع بنسبة 45%.

2- الكلام بنسبة 30%.

3- القراءة بنسبة 16%.

4- الكتابة بنسبة 9%¹.

ويمكن فهم استجابة الأفراد لوسائل الاتصال المختلفة، على نحو جزئي اعتمادا على مستوى اندماج الجمهور مع الرسالة التي تقدمها، وهذا يوحي بأن الوسائل التي تنتقل عن طريقها المعلومات في ذاتها تمارس تأثيرا على الجمهور بصرف النظر عن التأثير الناتج عن مضمون المعلومات، فيذهب البعض مثلا إلى أن التلفزيون يميل لجعل مشاهديه في حالة من السلبية الذهنية (Assel 1981) وربما يرجع هذا إلى أن جمهوره في حالة المشاهدة يتعود على أن يأخذ وضع الاسترخاء كأن يتكئ إلى الخلف ويشاهد ما يعرض عليه.

وتكون سرعة عرض الصور التلفزيونية خارج نطاق قدرته على التحكم فيها، وهي أيضا أسرع من أن تسمح له بالتأمل أو التفكير فيها لهذا

1. عبد الرحمن عزي، قراءة استمولوجية في تكنولوجيا الاتصال، المستقبل العربي، السنة 23، العدد 258،

آب - أغسطس 2000، ص 22-32.

يعتبر الكثيرون مشاهدة التلفزيون من الأنشطة غير الحافزة على التفكير فضلا عن أنها تبعث على الإحساس بالاسترخاء والخمول (1981، Csikszentmihly) ومن ثم فإنه ليس بغريب أن تؤدي الوسائل الإذاعية عموما والتلفزيون على نحو خاص إلى خفض مستوى اندماج الجمهور مع الرسالة التي تقدمها.

ولننظر إلى الفارق بين مشاهدة التلفزيون وقراءة صحيفة، في الحالة الأخيرة يمكن للجمهور أن يجد المعلومات على الصفحات المطبوعة، وليس شرطا أن تكون جذابة، المهم أن هناك وقتا للتفكير فيها، ولبلورة وجهة نظر المتلقي (القارئ) في المعلومات المقدمة، وعلى العكس قد يجد مشاهدو التلفزيون الصور المتحركة، على الشاشة أكثر جاذبية من القصص المكتوبة في الصحف، إلا أنهم لا يكونوا منه محبين بالضرورة فيما يشاهدونه بطريقة النشط في المضمون الكلي للمادة، حيث تكون هذه المضامين والتشعيبات غالبا هامشية في المحيط العقلي.

وما يجذب الاهتمام في هذه الحالة هو الجوانب المركزية لمستوى النشاط الذهني المنخفض الذي يستثيره التلفزيون في جمهوره فإن الجوانب المركزية أو السائدة فيما يشاهدونه تترك فيهم انطبعا قويا، وهذه الملامح تبدو بوضوح في الوسائل الإعلامية الإذاعية (Chaiken And Eagly 1983) (Eagly and Chaiken, 1984).

من هنا فإن العكس صحيح عند قراءة المتلقي لنفس الرسالة في الوسائل المطبوعة، حيث يكون أكثر ميلا للاهتمام بكل جوانب الموضوع المعروض والاستغراق في التفكير (Wright 1947)¹.

ولقد وجد الباحثون أن الفرد الذي عاش قبل ظهور التلفزيون كان يقضي وقتا أطول في قراءة الكتب والاستماع إلى الراديو ومشاهدة الأفلام في دور السينما ويكتب عددا أكبر من الرسائل، وقد يقضي وقتا أطول في الاهتمام بشؤون المنزل وفي الزيارات واللقاءات الاجتماعية، وكان يذهب إلى النوم في ساعة مبكرة².

ويمكن تلخيص أهم الفروق بين القراءة والمشاهدة في النقاط التالية:

- حين نقرأ نستطيع ضبط السرعة حسب رغبتنا في القراءة، فإذا لم نفهم شيئا، فقد نتوقف ونعيد قراءته أو نمضي باحثين عن شرح قبل أن نواصل القراءة وإذا كان ما نقرأه مثيرا للمشاعر، قد نضع الكتاب جانبا للحظات ونتكيف مع انفعالنا دون خوف من أن يفوتنا شيء، وبالمقابل لا يمكننا التحكم في سرعة البرنامج التلفزيوني، حيث نستطيع التحكم فقط في البداية (التشغيل) أو النهاية (الإيقاف) كما لا نستطيع إبطاء أو تسريع برنامج كما لا نستطيع العودة إلى الوراء إذا كانت هناك كلمة أو عبارة غير مفهومة.

- الصورة المتوقعة عند القراءة يجد القارئ الحرية في تركيبها، وبالمقابل نستقبل الصورة التلفزيونية البصرية مباشرة من جهاز التلفزيون

1. زين العابدين درويش (وآخرون)، علم النفس الاجتماعي: أسسه وتطبيقاته، الطبعة الثالثة، مركز النشر للجامعة القاهرة، 1994، ص 222-223.

2. بدران عبد الرزاق، التلفزيون وسيكولوجية الفرد، مجلة بحوث، المركز العربي لبحوث المستمعين والمشاهدين، عدد 18، سبتمبر 1986، ص 68-79.

بشكل قوي لكنها أقل إشباعا في النهاية، حيث أن العقل ليس عليه أن يمارس عملا أو يحل شفرة.

- القراءة عمل شخصي يعمل على تنمية مهارات التخيل لدى القارئ وتستلزم ممارسات عقلية معقدة فهي حسب "ألبرتو مانغويل" عملية بصرية مصحوبة بالتأمل والخيال والتدبر، وبالمقابل يعمل التلفزيون على إضعاف مهارة التخيل بشكل كبير حيث يقع المشاهد تحت سلطة خيال معدي البرنامج.

- تجربة القراءة تمتاز بطبيعة غير ميكانيكية سهلة المنال يسيرة الانتقال من خلالها يكتسب القارئ مهارة التهيؤ للتركيز، وبالمقابل يحدث تشوش حسي أثناء المشاهدة التلفزيونية نتيجة لحركة الصور التلفزيونية الناجمة عن صراعات بصرية حركية.

- تستحوذ القراءة على الفكر والانتباه لكنها لا تتوّم مغناطيسيا أو تشغل القارئ عن مسؤولياته الإنسانية، بينما الشخص الذي تعلم أن يركز سيفشل في إدراك الكثير من الأنماط المعلوماتية التي تتقلها المثيرات الإلكترونية ذلك أن العينين والأذنين في التلفزيون تغمرهما فورية المناظر والأصوات.

- القراءة عملية ثنائية الاتجاه، فالقارئ يستطيع أيضا أن يكتب، كما أن الكتب والمواد المطبوعة متاحة في كل وقت، بينما المشاهدة التلفزيونية فهي طريق وحيد الاتجاه.

- عندما تركز العين على شاشة التلفزيون وتستوعبها في حدة بالكامل يحمو العقل العالم الخارجي تماما، وعندما يغيب هذا الأخير يزيد اهتمامنا بالصورة التلفزيونية.

- ما يهم الوسائل السمعية البصرية (الإلكترونية) هو الانفتاح Openess حيث يتيح للمثيرات السمعية والبصرية المزيد من سهولة الوصول المباشر إلى الدماغ¹.

- القراءة ملكة صعبة الاكتساب، أما مشاهدة التلفزيون فلا تقتضي مجهودا.
- تبدو الحقيقة من خلال وسيلة التلفزيون موضوعية، إلا أن تجربة المرئي تكون ذاتية محضة على اعتبار أن المرئي تقليص وتشويه للحقيقة الموضوعية في غياب السردية والخطابية ومن ثم القيمة في بنية هذا المرئي...ذلك أن الإنسان حكى وجوده ومعناه سرديا وذلك مثل الأسطورة أو التاريخ في حالة، المجتمع أو السيرة الذاتية في حالة الفرد وذلك بصفة التتابع الزمني والتحول، أما المرئي في مقابل ذلك فإنه يحطم البنية السردية للخطاب، فقد أفقر المرئي اللغة الطبيعية رأي الشفوية والمكتوبة².

التلفزيون ضد البيداغوجيا والمعرفة:

طُرحت مشكلة التلفزيون كذلك على المستوى التربوي حيث اعتبر مختصو التربية والأساتذة على وجه الخصوص أن مشكلة الخمول والسلبية التي تخلفها مشاهدة التلفاز تؤثر سلبا على التلفزيون على المردود البيداغوجي للأطفال "التلاميذ" قد اتسعت بشكل ملحوظ، فها هو أحد الأساتذة الذي سأله الباحثون يؤكد قائلا: "لاحظت منذ الدخول المدرسي أن أحد تلميذاتي (6 سنوات) تبدو دائما أنها خارج القسم، فلا تجيب عن الأسئلة ولا تقوم بأي

1. Tony Schwartz. The responsive chord. (New York : anchor/ double day, 1973).

2. عزي عبد الرحمان، الإعلام والبعد الثقافي: من القيمة إلى المرئي، المجلة الجزائرية للاتصال، العدد 13، مرجع سابق... ص 95-113.

شيء آخر، لقد كانت في عالم آخر عندما علمت أنها تشاهد كثيراً التلفزيون أدركت أنها تستعيد ما شاهدته من أفلام حتى تعيشها مرة أخرى¹، حيث ينظر النقاد الأمريكيون للتلفزيون على أنه "عقار مُسكن".

ولم يتوقف التأثير على الأطفال والتلاميذ عند هذه الدرجة بل تعداها إلى ضعف علامات (درجات) التلاميذ في الفصل الدراسي في عدة دراسات أُقيمت في الولايات المتحدة الأمريكية، كما وجد الباحثون كذلك تراجعاً في عملية التفكير الاستدلالي "Inferential Reasoning" والتي تسمى أيضاً مهارة القراءة المتقدمة "Advanced Reading" والتي تعني قراءة مواد عالية المستوى والقدرة على استخلاص استنتاجات وتكوين أحكام وخلق أفكار جديدة من خلال ما يقرأه المرء وهو العامل الحاسم الذي يشكل أساس القراءة الهادفة في الأدب والتاريخ والعلوم وغيرها من المجالات²، كما وُجد أن الكثير من الأطفال يجدون صعوبات جمة في التكيف مع التجارب البصرية.

ويشير الباحثون كذلك إلى تزايد التلاميذ العاجزين عن كتابة جمل متناسقة أو حل مسألة حسابية بسيطة، مما أدى بالجامعات إلى التفكير في القيام بعمل علاجي في هذه المهارات الأساسية، خاصة بعدما لاحظ الباحثون أن غالبية التلاميذ تميل إلى استعمال أبسط تركيب للجملة وأكثر المفردات شيوعاً عند الكتابة، كما أن مقالاتهم أكثر فجاجة وتفككا وهو ما حداً بأحد

1. بيرغلان أوليفين، الخمول والهروب في تأثير وسائل الاتصال الجماهيري، ترجمة نصر الدين لعياضي،

وسائل الاتصال الجماهيري والمجتمع، مرجع سابق... ص 85-103.

2. ماري وين، الأطفال والإدمان التلفزيوني... مرجع سابق، ص 93-114.

المؤلفين التربويين وهو كارلوس بيكر إلى القول: "إن تعلم الكتابة هو أصعب وأهم شيء يفعله أي طفل، إن تعلم الكتابة هو تعلم التفكير"¹.

وفي محاولة لتحديد مفهوم الخمول قام الباحثون: هملويت "Himmelweit" و أوبنهيم "Oppenheim" و فنس "vince" بدراسة ميدانية كبرى أجريت ببريطانيا سنة 1958 حول تأثير التلفزيون في الأطفال وتوصلوا إلى خمسة أشكال مختلفة من توظيف مصطلح الخمول وأكدوا النتائج التالية :

- 1- إن فعل المشاهدة ذاته هو نشاط سلبي.
 - 2- يستطيع التلفزيون أن يقود الطفل إلى تفضيل رؤية نسخة من الحياة ذاتها.
 - 3- يفرز التلفزيون حالة المشاهدة وفقدان المبادرة.
 - 4- التلفزيون يضجر.
 - 5- التلفزيون ينهك التخيل "I`imagination"².
- ويؤكد العلماء عدم حيوية نصف كرة الدماغ الأيسر عند الذين يكتفون فقط بمزاولة أنشطة بصرية، ذلك أن أهم فرق بين نصفي كرة الدماغ الأيسر والأيمن يتعلق بتحكم الدماغ في المادة اللفظية وغير اللفظية فنصف كرة الدماغ الأيسر يدير معظم أنشطة الدماغ اللفظية والمنطقية، ولهذا السبب فإنه كثيرا ما يسمى نصف الكرة "المسيطر" أما الوظائف المحددة لنصف الكرة

1. المرجع نفسه، ص 104.

2. جمال العيفة، الثقافة الجماهيرية: عندما تخضع وسائل الإعلام والاتصال لقوى السوق، الجزائر: منشورات جامعة عنابة، 2003، ص 125.

الأيمن وعلى الرغم من بعض الغموض الذي يشوبها فإنها مرتبطة عموماً بالأنشطة المكانية والبصرية وربما الأنشطة الوجدانية¹.

وما يمكن أن يلخص هذا العنصر هو ما اشتكى منه مدرس إحدى المدارس المتوسطة الأمريكية من أن التلفزيون يؤثر على التلاميذ ولا يدعمهم ينجزون واجباتهم المنزلية حيث يقول : "إن إعطاء واجب منزلي مساء الثلاثاء ليس سوى قضية خاسرة، فكيف يستطيع أي شخص منافسة:

"Laverne ، Shirley، Susanne Soners Fonz"

إن البرامج* قد تتغير من سنة إلى أخرى لكن فئة التلفزيون تظل كما هي².

نحو تطوير المكتوب وتطوير المرئي:

بالموازاة مع ذلك ولتخليص الأفراد من هيمنة التلفزيون ودكتاتوريته الإلكترونية التي غالباً ما تنشر ثقافة سطحية تحمل أفكاراً عامة، يقترح بعض الباحثين ضرورة تنمية مهارات القراءة بمستوياتها المختلفة والتي تعيد الإنسان إلى المشاركة الفعالة في الحياة اليومية الحقيقية وليست الحياة الوهمية التي تصنعها وسائل الإعلام الحديثة، معتمداً بالدرجة الأولى على عنصر الخيال، ومن أبرز هذه المهارات نجد:

- القراءة المتعجلة Skimming reading.

- القراءة الانتقائية Skipping reading.

- القراءة العادية Normal reading.

1. ماري وين، ص 60-61.

* برامج أطفال في التلفزيون الأمريكي.

2. المرجع نفسه، ص 109.

– القراءة المتعمقة Indeph reading¹ أو قراءة متقدمة advanced reading أي قراءة مواد عالية المستوى.

و يقول الروائي جيرزي كوزنسكي jerzy kosiski : "إن القراءة تقدم دعابات فجائية، غير مطروقة، وتبصرنا جديدا في مراوحات حياة المرء الذاتية، فالقارئ تستوهمه مخاطر الإبحار في النص، وتأمل حياته الخاصة في ضوء المعاني الشخصية للكتاب"².

وبالتالي يمكن الاستفادة أكثر من علم القراءة الذي أسس له جاك دريدا "J. Derida" على الرغم من أن التفكيكية التي يتزعمها هذا الأخير تنفي وجود قراءة صحيحة أو قراءة واحدة وقالت بالقراءات المتعددة ورفضت القراءة الأصلية أو المحكمة .

حيث يوفر العديد من المداخل المهمة كما أنه يعتبر عودة إلى عالم المكتوب والمطبوع الذي انحسر بفعل انتشار وتطور المرئي على اعتبار أن المكتوب يتوفر في أغلبه على مضمون جاد وعميق، ذلك أن الاختلاف الكبير بين الصورة المقروءة " أي صور الحروف والكلمات والصور التي نتلقاها حين نشاهد التلفزيون " يتمثل في أننا نخلق صورنا الخاصة حين نقرأ، بالاستناد إلى تجارب حياتنا الخاصة وبما يعكس حاجتنا الفردية الخاصة، بينما يجب علينا أن نقبل ما نستقبله حين نشاهد الصور التلفزيونية إننا حين نقرأ فكأننا تقريرا نخلق برامجنا التلفزيونية الداخلية الصغيرة الخاصة وتكون النتيجة تجربة تغذي الخيال وكما قال برونو

1. نبيل علي... مرجع سابق، ص 278.

2. jerzy kosiski, quoted in Horace new comb, Television : the critical view, (London : oxford university press 1976).

بتلهائم "Bruno Bettelheim" فإن: "التلفزيون يأسر الخيال لكنه لا يحرره، أما الكتاب الجيد فإنه ينبه ذهنه ويحرره في الوقت ذاته"¹.

وفي إطار علم القراءة دائماً فقد ظهر مصطلح جديد يمكن أن يؤسس لفكر جديد يسمى إدارة القراءة "Reading Management"، فحين نقرأ نستطيع ضبط السرعة حسب رغبتنا في القراءة فإذا لم نفهم أعدنا القراءة حتى نفاك رموز ما نقرأ غير أننا لا نستطيع التحكم في سرعة البرنامج التلفزيوني لأن البداية "التشغيل" والنهاية "إيقاف عمل الجهاز" وهما اللتان تخضعان لسيطرتنا لأن البرنامج يتحرك إلى الأمام دون هوادة وقد تمر علينا العديد من الكلمات والعبارات غير المفهومة دون التمكن من إعادة عرضها ولذلك فإن كلا من العينين والأذنين في التجربة التلفزيونية تغمرهما فورية المناظر واللقطات والأصوات التي تمر بسرعة ودون ترك مجال أوسع للتفكير الملي والمعمق. تؤثر المشاهدة التلفزيونية في كم ما نقرأ أو طبيعته، وشعورنا تجاه القراءة وما نكتبه وما نكتبه ومدى جودته ما دامت مهارات الكتابة ترتبط بصورة وثيقة بتجارب القراءة.

وفي هذا السياق يقول دونالد بار Donald Barr : "إن التلفزيون يجعلك تلقي نظرة عابرة على الصفحة، وذلك يختلف كثيراً عن القراءة"²

ومع هذه الدعوة إلى ضرورة الاعتماد على عملية القراءة التي تحتوي على العديد من الممارسات العقلية المعقدة التي تجعل الفرد قادراً على استعمال عقله مما يفتح له المجال للقيام بالعديد من الأعمال المنطقية والعقلية التي تجعله يستغل هذه المَلَكة في تعزيز تجربة الحياة اليومية لديه

1. ماري وين، الأطفال والإدمان التلفزيوني... مرجع سابق، ص 73 75.

2 . quoted in Norman Morris; Televisions child (restore little brown, 1971).

ولا يبقى حبيس مَشاهد تلفزيونية متسارعة قد لا تلبي سوى نزر يسير مما يحتاجه الفرد في علاقاته اليومية.

ولقد أدرك هذه الأهمية العديد من التربويين في الولايات المتحدة الأمريكية فوضعوا برامج خاصة للتشجيع على القراءة وهو ما يلخصه قول دانيال بورستين Daniel Boorstin أمين مكتبة الكونغرس سابقا في دعوته للقراءة بقوله: "من أجل أن نستفيد من شعب من القراء لا بد أن يكون لدينا مواطنون يستطيعون القراءة، إن واجبنا المحدد الأول هو عدم السماح للصورة الإلكترونية المنشورة أو الكلمة الشائعة بأن تحوّل بيننا وبين الجهد الأساس لتربيتنا لا بد لنا من تنشئة مواطنين مؤهلين لاختيار تجربتهم بأنفسهم ومن كتب الماضي والحاضر وبذلك نؤمن الاستقلالية التي يستطيع القارئ وحده أن يستمتع بها"¹.

وما يلاحظ من خلال هذه الفقرة أن المجتمعات الغربية انتبعت إلى ضرورة إحداث موازنة على الأقل بين عالم المطبوع والمرئي حتى لا يطغى هذا الأخير بكل سلبياته فتنتج أفرادا غير قادرين على القيام بأبسط العمليات العقلية.

واقع القراءة في العالم العربي:

قبل استعراض واقع القراءة في العالم العربي سنتطرق لجزء من هذا الواقع في الدول المتقدمة مثل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا واليابان وذلك من خلال التعرض لبعض مؤشرات التعليم في هذه البلدان، باعتبار أنه أهم ميدان تمارس فيه القراءة.

1. المرجع نفسه، ص 111-112.

فإذا عقدنا مقارنة بين حالة التربية والتعليم في الدول المتقدمة والدول العربية نجد أن الطلبة في اليابان يدرسون فعليا 220 يوما من أصل 366 يوما وهو عدد أيام السنة، أما في الولايات المتحدة الأمريكية فيدرسون فعليا 175 يوما من أصل 366 يوما.

في حين أن الطالب في الدول العربية يدرس فقط 150 يوما في السنة¹. أما عن مؤشر استهلاك ورق الصحف فقد تراجع في العالم العربي لكل فرد من 3.3 كلغ سنة 1985 إلى 207 كلغ سنة 1995، وفي الفترة نفسها ارتفع في أوروبا من 55.7 كلغ إلى 82.2 كلغ.

في حين بلغ عدد أجهزة التلفزيون في الوطن العربي سنة 1995 حوالي 28 مليون جهاز، أي بمعدل 109 جهازا لكل ألف من السكان².

وهو ما يؤكد ارتفاع نسبة من يعتمدون على سلوك المشاهدة في عالمنا العربي مقابل من يُقبلون على تجربة القراءة.

كما يقل عدد الصحف في البلدان العربية عن 53 لكل 1000 شخص مقارنة مع 258 صحيفة لكل 1000 شخص في البلدان المتقدمة³.

أما عن واقع القراءة في الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً فتشير الإحصائيات أن أعدادا متزايدة من الأمريكيين عاجزة عن القراءة، أولا يجسدها لدرجة تفيدهم، حيث أنه من 10 إلى 12 في المائة من سكان الولايات المتحدة الأمريكية لا يستطيعون القراءة، ومن بين الذين يستطيعون القراءة نجد أن حوالي 60% لا يقرؤون الكتب والمجلات والصحف عمداً، وفي التعليم العالي

1. "حصة بلا حدود" (2001-02-21) موقع: www.Aljazeera.Net.

2. المصدر: كتاب اليونسكو الإحصائي السنوي لسنة 1997. UNESCO YEAR BOOK 1997.

3. برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، الصندوق العربي للإئماء الاقتصادي والاجتماعي، تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2003، نيويورك، 2003.

يتجلى ذلك في انخفاض الأداء والاختبارات الشفهية وفي انخفاض القدرة على قراءة وفهم المواضيع الطويلة¹.

كما كشفت دراسة أمريكية حديثة أن أطفال ما قبل المدرسة يمضون وقتاً أمام التلفزيون وأجهزة الكمبيوتر واللعب خارج المنزل أكثر بثلاث مرات من الوقت الذي يستغرقونه في القراءة.

وذكرت الدراسة التي تهدف لبحث مدى تعرض الصغار لوسائل الإعلام أن الأطفال ما بين 6-9 سنوات يقضون ساعتين يومياً في المتوسط في مشاهدة التلفزيون والفيديو كما يمضون ساعتين أيضاً في اللعب خارج المنزل. بما يعادل ثلاثة أضعاف الوقت الذي يقرأون فيه أو يقرأ لهم، ويبلغ حوالي 49 دقيقة يومياً. وقال الباحث الرئيس للدراسة كايسر ريد أوت : "اكتشفنا أن أطفال اليوم ينضجون وهم غارقون كلياً في وسائل الإعلام الإلكترونية"، وقد أوضحت الدراسة أن مشاهدة التلفزيون تؤثر على مهارات القراءة لدى الأطفال، فمن غير المحتمل أن يستطيع الأطفال الذين يشاهدون التلفزيون بكثرة القراءة قبل سن السادسة، وخلصت الدراسة إلى أن 34 في المائة من هؤلاء الأطفال الذين تتراوح أعمارهم من 4-6 سنوات لا يستطيعون القراءة على النقيض من 56 في المائة من أطفال أقل تعرضاً للتلفزيون، وفقاً للعينة التي خضعت للبحث².

ويبلغ عدد الصحف في الولايات المتحدة الأمريكية 1654 صحيفة يومية و 7710 صحيفة أسبوعية ويبلغ عدد محطات الإذاعة ما يقرب من 10 آلاف محطة إذاعية وأكثر من 1220 محطة تلفزيون ويصل البث

1. القراءة القريبة والمطالعة الشاقة تضعفان البصر، موقع : www.aljazeera.net

2. جريدة الخبر، العدد 3923، 01-11-2003.

التلفزيوني إلى 98% من البيوت الأمريكية، وتدل بعض الدراسات أن 65% من الشعب الأمريكي يعتمد على التلفزيون كمصدر رئيسي للأخبار، ويقدر الباحثون أن القارئ الأمريكي العادي يصرف حوالي 15 دقيقة يوميا في قراءة الصحيفة، فيما يبقى جهاز التلفزيون في البيت الأمريكي مفتوحا لمدة سبع ساعات.

وعلى الرغم من هذه الأرقام المذهلة فإن أنظمة التعليم الغربية تعتمد بشكل أساس على القراءة والمطالعة والدراسة الشاقة لتحقيق النجاح والتفوق الأكاديمي.

أما في الدول العربية فتشير الإحصائيات إلى أن مصر وحدها تنشر من العناوين ما يعادل منشورات كل البلدان العربية (ما عدا لبنان التي لم تقدم إحصائيات إلى اليونسكو سنة 1996).

وإذا قارنا بين إنتاجنا وإنتاج البلدان المصنفة التي لنا علاقات وطيدة معها، فإننا نلاحظ أن مصر تنشر كتابا لكل واحد وعشرين ألف نسمة (21000) في حين أن المملكة البريطانية تنشر كتابا لكل سبعة آلاف نسمة، أي ثلاثة أضعاف ما تصدره مصر، في حين أن تونس والجزائر والمغرب الأقصى تصدر كلها كتابا واحدا لكل سبعين ألف نسمة، وفرنسا كتابا واحدا لعشرة آلاف نسمة¹.

1. محمد عبد الجواد، واقع النشر وصناعة الكتاب في الوطن العربي، في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، التصنيع الثقافي وإنشاء سوق ثقافية عربية مشتركة، مؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي 16-22 نوفمبر 2000، ص 225-226.

وقد كان متوسط الكتب المترجمة لكل مليون شخص من العرب في السنوات الأولى من الثمانينيات يساوي 4.4 كتب، أي أقل من كتاب واحد كل سنة، بينما بلغ 519 كتابا في المجر و920 كتابا في إسبانيا¹.

وقد توصل أحد الباحثين مثلا إلى أن التونسي ليس بقارئ، بمعنى أنه لا يقرأ للمتعة بما قرأ، بل مطالعته جبرية (نفعية)، أي أن الموظف يقرأ لإعداد امتحان انتداب أو مسابقة وأن الطالب أو التلميذ يقرأ لكي يحصل على علامة مرتفعة في امتحانه وينجح في مسيرته الدراسية².

ويؤكد الباحث ذاته أنه بفعل تدني القدرة الشرائية للمواطن التونسي فليست هناك مخصصات دنيا لاقتناء الكتاب، وإن وجدت فقليلا من تخصص أكثر من خمسين دينارا سنويا لشراء الكتب، ونجد أيضا بعض المدرسين الذين يقرون بأنهم يخصصون ميزانية تتراوح بين 150 و200 دينار سنويا لهذه العملية مع التأكيد أن أغلبيتهم يلجأون إلى التبادل، كما انه قليلا ما نرى أشخاصا يفكرون في إهداء كتاب في المناسبات (عيد ميلاد أو أي عيد آخر أو بمناسبة نجاح مدرسي)³، ففي السويد مثلا يهدى للمولود الجديد كتاب...

وهذا ما يؤكدته تقرير التنمية البشرية العربية لعام 2003 حيث أشار أن الإنتاج الأدبي العربي يعاني من قلة عدد القراء بسبب الأمية وضعف القدرة الشرائية للقارئ العربي، فلا يتجاوز الإنتاج العربي في مجال

1. برنامج الأمم المتحدة الإنمائي... تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2003، مرجع سابق.

2. المرجع السابق، ص 247.

3. المرجع نفسه، ص 249.

الكتب 1.1% من الإنتاج العالمي رغم أن العرب يشكلون 5 % من عدد سكان العالم¹.

أما عن واقع القراءة في عالمنا العربي عموماً وفي الجزائر على وجه الخصوص فتؤكد الدراسة التي قامت إحدى الباحثات العربيات في التدريب على فنون القراءة بإحدى المراكز النسائية المخصصة لهذا الغرض حيث أكدت نتائجها أن 41% من المتدربات طوال سنوات التدريب لم تعتب أرجلهن داخل المكتبة لاستعارة كتاب واحد، وأن 70% يقرأن فقط ما يطلب منهن ومعظمها تكون مناهج دراسية، كما أن 66% منهن تقتصر قراءتهن على المواضيع العامة من المجالات النسائية والصحف المحلية، ووجدت أيضاً أن 71.6% يعتقدون أن الاستمتاع هو الهدف الرئيس من وراء القراءة.

وهذا ما يطلق عليه المتخصصون مصطلح عسر القراءة (DYSLEXIA) حيث يؤكدون أن الذين يعانون من عسر القراءة تتراوح نسبتهم في كل مجتمع بين 4 و 10%².

وتبين الإحصائيات التي صدرت عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أن عدد الأميين في الوطن العربي بلغ 68 مليوناً أي ما نسبته 43% من عدد السكان، وأن المواطن العربي لا يقرأ أكثر من 7 دقائق في السنة، كما أن 90% من الطلبة العرب لا يمتلكون ثقافة معلوماتية³.

وفيما يتعلق بالجزائر فإن السياسة الاستعمارية الرامية إلى تجهيل الجزائريين إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر كان لها بالغ الأثر في التأثير

1. برنامج الأمم المتحدة الإنمائي... تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2003، مرجع سابق.

2. ألكسو تحذر من تفشي الأمية في الوطن العربي، موقع: www.aljazeera.net

3. وجهة الحوادر، مشكلة عسر القراءة عند العرب، جريدة الوطن، السنة الثانية، العدد 407، 10 نوفمبر 2001.

على واقع القراءة فيها حيث كان أكثر من أربعة أخماس الشعب الجزائري أميين لا يقرأون ولا يكتبون عند نهاية الاستعمار الفرنسي في الجزائر عام 1962¹، وقد كان 90% من الجزائريين محرومون من التعليم في مدارس التعليم الفرنسي بالجزائر².

وقد توصل التقرير المتعلق بحالة السكان في العالم لسنة 2003 الصادر عن صندوق الأمم المتحدة للسكان في الثامن من شهر أكتوبر وكذا عملية المسح التي قام بها الديوان الوطني للإحصائيات بالجزائر والتي مست 3268 شابا أعزبا تتراوح أعمارهم ما بين 15 و 29 سنة منهم 1501 إناث وموزعين على 1927 شابا في الوسط الحضري و 1341 في الوسط الريفي، إلى أن الأغلبية الساحقة من الشباب يشاهدون التلفزيون كل يوم تقريبا بنسبة 82.1 % مقابل 2.4 % لا يشاهدونه بتاتا و 20.2 % من الشباب لا يطلعون أبدا على الصحف اليومية والمجلات مقابل 19.3 % يقرأون تقريبا كل يوم.

والجدول التالي يعرض المسألة بالتفصيل³:

الوتيرة	ذكور	إناث	إجمالي	الوتيرة	ذكور	إناث	إجمالي
تقريبا كل يوم	82.9 %	81.3 %	82.1 %	تقريبا كل يوم	19.7 %	18.9 %	19.3 %
مرة على الأقل في الأسبوع	12.7 %	13.6 %	13.1 %	مرة على الأقل في الأسبوع	32.5 %	26.7 %	29.8 %

1. تركي رابح، مشكلة الأمية في الجزائر، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ص 17.

2. المرجع السابق، ص 23.

3. الشروق اليومي، عدد 900، 14 أكتوبر 2003.

أقل من مرة في الأسبوع	%1.7	%3.0	%2.3	أقل من مرة في الأسبوع	%17.6	%26.3	%21.6
ولامرة	%2.6	%2.1	%2.4	ولامرة	%23.8	%16.0	%20.2

جدول يبين توزيع الشباب حسب مشاهدة التلفزيون. جدول يبين توزيع الشباب حسب قراءة الصحف والمجلات

ولذلك فإن القيام بتنمية ثقافة القراءة من خلال المكتوب كحزام أساس في نقل التراث والثقافة، والمهارات، يُعد أمراً بالغ الأهمية، فانطلاق الحضارة الغربية تزامن مع اكتشاف الطباعة في القرن الخامس عشر وانتشار التعليم والمعرفة وعلى رأس ذلك اتساع دائرة الكتاب والصحيفة، وينطبق ذلك مع ازدهار الحضارة الإسلامية التي ازدهرت مع عصر تدوين الإنتاج العلمي والفكري في شتى المجالات، والواضح أن المجتمعات العربية والإسلامية لم تستعد إلا جزءاً من ثقافة المكتوب إذ انتقلت من العالم الشفوي إلى عالم الوسائل السمعية البصرية من دون أن تمارس قيمها بشكل من يجعلها تتحكم في زمام الإنتاج السمعي البصري¹.

وقد وضع الاختصاصيون برنامج قراءة لكل فرد يريد أن يكون قارئاً جاداً و مطلعاً على كل الأحداث التي تدور حوله في العالم وذلك من خلال برنامج وضعه 24 مفكراً وناقداً وأديباً، ويتلخص هذا البرنامج الذي يمكن لمجتمعنا الاستفادة منه في النقاط الأربع التالية :

1- كتاب واحد جيد أسبوعياً على الأقل.

2- جريدة أو مجلة عادية سيارة (دورية).

1. عبد الرحمن عزي: قراءة ابستمولوجية في تكنولوجيا الاتصال...مرجع سابق.

3- مجلة للتحليل والتعليقات.

4- مجلة لمراجعة الكتب (على شكل دليل)¹.

ويمكن الاستفادة من هذا الدليل كأداة لتنمية وتطوير مهارة القراءة في مجتمعاتنا حيث تغلب عليه النزعة العملية.

ومن ناحية أخرى فإن الصورة الإعلامية إذا كان لها مزايا أبرزها ربح الوقت واختصار المسافات ومد المتفرج بدقائق الأمور فهي من خلال التلفزيون وإن كانت تسجل الواقع فهي لا تسجله كاملاً وإنما تسجل ما يدخل في نطاق زاوية رؤية العدسة، مما يقلل من نسبتي الحياد والموضوعية ويفتح مجالاً أوسع للتزييف خاصة في ظل تطور تكنولوجيا الاتصال العالمية.

كما أن خطر الصورة لا يخفى من الناحية الاجتماعية والحضارية العامة، وما يمس خصوصيات المجتمعات بالقياس إلى بعض، ووجه الخطر يتأتى إجمالاً من مظاهر الاستهلاك السلبي للصورة. ذلك أن مستقبلي الظاهرة الجمالية (الصورة) صنفان:

1. صنف يكتفي بظاهر السمة، فيأخذها على ظاهرها دون نقاش أو تأويل، وهو الصنف الذي يُخشى عليه من التأثيرات السلبية للصورة.

2. صنف لا يكتفي بذلك، بل يبحث لما يحصل لديه من انطباعات ما تصدره من أحكام عن دواع وأسباب تكون مسؤولة عن تحديد مصدر التأثير في النفس سواء بالسلب أم الإيجاب، ذلك أن المتلقي ليس من

1. أحمد عمر شاهين، دليل القارئ إلى الثقافة الجادة، مجلة العربي، العدد 524، يوليو 2002، ص 190-193.

الضرورة أن يتبع نفس الخطة التي رسمها له المنتج (المرسل) بل إنه يختار لنفسه مسلكا خاصا لا ينسجم بالضرورة مع مجموع المؤثرات التي قصدها المنتج¹.

ولذلك فإن مجتمعنا مطلوب منه اكتساب آليات التعامل مع الصورة بصفة عامة من خلال تطويعها لخدمة أهدافه وفقا لخصوصياته انسجاما للصنف الثاني.

وفي الأخير فإن المقارنة بين المشاهدة التلفزيونية والقراءة لا يمكنها أن تستغني عن الوقوف عند فكرة مفادها أنه يوجد اختلاف في نوعية المادة المتاحة في كل وسيلة، فقد نجد من الكتب ذات المحتويات التفاهة التي تقابلها البرامج التلفزيونية الجميلة العميقة، كما نجد البرامج الضحلة التي تقابلها الروائع الأدبية...

1. مراد بن عياد، قراءة "الصورة المصورة" من خلال المنهاج البلاغي في التراث العربي تقبلا وتأويلا... مرجع سابق.